AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

PENERBIT Universiti Sultan Zainal Abidin

Jurnal Afaq Lughawiyyah
Universiti Sultan Zainal Abidin
مجلة آفاق لغوية - جامعة السلطان زين العابدين

الدرس المعجمي العربي لدى اللغويين الأقدمين في ضوء اللسانيات الحديثة

[THE ARABIC LEXICAL STUDY BY ANCIENT ARAB SCHOLARS IN THE LIGHT OF MODERN LINGUISTICS]

Zulkipli Md Isa, Wan Moharani Mohammad, Nurhasma Muhamad Saad, Sulaiman Ismail, Muhammad Marwan Ismail & Yuslina Mohamed

Fakulti Pengajian Bahasa Utama, Universiti Sains Islam Malaysia

Corresponding Author: *zulkipli@usim.edu.my*

Received: 3/1/2023 *Accepted: 19/1/2023* *Published: 31/3/2023*

ملخص

تَبَلَّرَتْ ملامحُ اللسانيّات الحديثة في الغرب بحلول القرن العشرين الميلادي على أيدي اللسانيّين الغربيّين وعلى رأسهم العالِم السويسري "دي سوسير" الرائد الأول لعلم اللسانيات. وقد اقتفى أثره ثُلَّةٌ من اللسانيين ما أَسعفَ في تَطوير أُسس هذا العلم واستقراره بوصفه علمًا مستقلًا في أوائل القرن نفسه يُعرف بمسميات عدة في العالم العربي، نحو: علم اللغة، واللغويات، واللسانيات، والألسنية وغيرها. واللسانيات في أوجز تعاريفها علمٌ يدرس اللغة دراسةً علميةً وموضوعيَّةً مستعينا بكل الوسائل العلمية المتاحة للتوصل إلى النظريات اللغوية التي تنطبق على جميع اللغات الإنسانية. ويدرس هذا العلم بشَقَّيه النظريّ والتطبيقيّ مجالاتِه المتنوعة، أهمها: الصوت والكلمة والجملة والدلالة والأسلوب والمعجم، وغيرها. أما الدرس اللغوي العربي فقد نشأ في أواخر القرن الثاني الهجري بظهور مجموعة من علماء العرب الذين صَبُّوا اهتمامَهم على دراسة قواعد العربية وفقهها. ومن أهم ما دَرسُوه مفرداتُ اللغة العربية بهدف جمعها في رسائلهم اللغوية الصغيرة خشية ضياعها واندثارها. وقد اتّخذوا في هذا العمل المعجميّ أُسُسًا وأنماطًا متنوعةً في التأليف تعكس ميزات المفردات العربية نفسها التي تتفق بما تناوله اللسانيون المحدَثون في عدة مجالات لسانية حديثة كعلم الدلالة وعلمَي المعاجم وصناعتها. وعلى هذا، يصبو هذا البحث إلى إبراز أهم أنماط التأليف في الدرس المعجمي العربي لدى اللغويين الأقدمين التي تأتلف مع ما تَعَاورتْها أيدِي اللسانيين الغربيين. وهذا يقتضي وصف ما تناوله اللغويون في مؤلفاتهم اللغوية وتحليله في ضوء أسس اللسانيات الحديثة. والأمل المنشود من هذا البحث تجليةُ الجوانب اللسانية المتطورة التي استَبْطَنَها علماؤنا الأقدمون في دراستهم للمفردات العربية رغم سبقهم اللسانيين الغربيين إلى هذا الجهد بقرون طويلة.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، الدرس المعجمي، أنماط التأليف، اللغويون

Abstract

The features of modern linguistics became clear in the West by the twentieth century AD at the hands of Western linguists, headed by the Swiss linguist "De Saussure", the first pioneer of linguistics. This was followed by a large group of linguists who helped develop the foundations of this knowledge and its principles as an independent science at the beginning of the same century. It is known by several names in the Arab world, such as: Ilm Al-Lughah, Lughawiyyat, Lisaniyyat, Al-Alsuniyyah, and others. Linguistics, in its brief definitions, is a science that studies language scientifically and objectively, using all available scientific means to reach linguistic theories that apply to all human languages. This science, in both its theoretical and applied parts, studies its various fields, the most important of which are: sound, word, sentence, meaning, style, lexicon, and others. As for the Arabic language study, it arose in the late second century AH with the emergence of a group of Arab scholars who focused their attention on studying Arabic grammar and philology. One of the most important things they studied was the vocabulary of the Arabic language with the aim of collecting it in their books for fear of its loss and extinction. In this lexical work, they adopted various foundations and patterns in writing that reflect the characteristics of the Arabic lexicon itself, which is consistent with what modern linguists dealt with in several modern linguistic fields, such as semantics, lexicology, and lexicography. Accordingly, this research aims to highlight the most important patterns of writing in the Arabic lexicography study by the ancient scholars, which are similar to what Western linguists dealt with. This requires describing and analyzing their patterns and types of writings according to the theories and principles in modern linguistics. The hope sought from this research is to reveal the advanced linguistic aspects that our ancient scholars discovered in their study of Arabic lexicon where they preceded Western linguists in this effort by many centuries.

Keywords*: linguistics, lexicography, patterns of writing, Arab scholars*

المقدمة

يضم هذا البحث مبحثين اثنين، أولهما: بيان وجيز لماهية اللسانيات الحديثة ونشأة الدرس المعجمي العربي لدى اللغويّين الأقدمين، ويليه المبحث الثاني المعنيّ بتتبّع الأنماط وأسس تأليف الرسائل اللغوية الصغيرة تُعرف بمعاجم الموضوعات التي ظهرت بقوة وكثرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين بتأليف مجموعة من اللغويين الْمُبرِّزِين، نحو: الأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، وأبو الطيب اللغوي، وأبو عبيد ابن سلام، والفراء، وأبو علي القالي، وغيرهم. ويكون عرضنا لهما على النحو الآتي:

المبحث الأول: اللسانيات الحديثة ونشأة الدرس المعجمي العربي

استقرّت اللسانيات الحديثة (linguistics) في الغرب بحلول أوائل القرن العشرين الميلادي على أيدي اللسانيين الغربيين وعلى رأسهم العالم السويسري "دي سوسير" الرائد الأول للسانيات في كتابه الشهير: "محاضرات في اللسانيات العامة". واللسانيات في أوجز تعاريفها علم يدرس اللغة دراسةً علميةً وموضوعيَّةً مستعينا بكل الوسائل العلمية المتاحة للتوصل إلى النظريات اللغوية التي تنطبق على جميع اللغات الإنسانية. ويبحث هذا العلم بشقَّيه النظري والتطبيقي مجالاته المتنوعة، أهمها: الصوت (phonetics & phonology) والكلمة (morphology) والجملة (syntax)

والدلالة (semantics) والأسلوب (stylistics) والمعجم (lexicology & lexicography)، وغيرها.

أما الدرس اللغوي العربي فقد نشأ في أواخر القرن الثاني الهجري بظهور مجموعة من علماء العرب الذين صبُّوا اهتمامهم على دراسة قواعد العربية وفقهها. وكان النشاط اللغوي العربي ظهرَ متأخرا نسبيا إذا ما قُورن بظهور النشاط في العلوم الشرعية التي تعدّ محلّ الاهتمام لجميع العلماء في السنوات الأولى التي سبقت ظهور جهود اللغويين والنحويين(Umar, 2003). بيدَ أنه لم يدّخر علماء العرب جُهدا في دراسة اللغة العربية ووضع حجر الأساس لعلومها بعد فراغ العلماء الشرعيين من علاج العلوم المرتبطة بالشريعة الإسلامية. وكانت الجهود التي بذلها علماءُ العربية لَاحَتْ في مجالين أو اتجاهين اثنين، أولهما: المجال القواعدي للغة العربية الذي يتمثل في دراسات نحوها وصرفها لدى النحويين المعروفين كسيبويه والكسائي، والمبرد، والثاني: مجال فقه اللغة، أي فقه مفردات اللغة الذي ينجلي في الدرس المعجمي العربي لدى اللغويين الذين أَقْدَمُوا على جمع مفردات العربية ودراسة أنواعها وأصولها وتشكّلها الصوتي، وخصائصها، وأصالتها ونوادرها، وغيرها من القضايا المنضوية تحت دراسات فقه اللغة. والحق، أن الاهتمام بهذين المجالين شكَّل شُغْلًا وهمًّا رئيسيَّين لدى اللسانيين من سائر اللغات البشرية، إذ بهما تشكّل التركيب اللغوي السليم الذي يقوم على ترتيب المفردات اللغوية في نَسَقٍ نَحويّ صحيح يفهمُهُ جميعُ أبناء اللغة الواحدة. وهذا لا يتأتى إلا بوجود القواعد اللغوية (grammar) التي تَنتظمُ على مِنوالها المفرداتُ (lexicon) لتشكيل تراكيب لغوية صحيحة. فكانت هناك طائفتان اثنتان من علماء العربية؛ طائفة منخرطة في مجال القواعد سُمُّوا بالنحويِّين، كما سبق ذكرهم، وطائفة أخرى مُهتمَّة بمجال المفردات عُرفوا باللغويِّين، نحو: الأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، وأبو الطيب اللغوي، والفراء، وغيرهم. واكتَمَلَتْ العلوم العربية بظهور المؤلفات من هذين الاتجاهين عُرفت المؤلفات من الاتجاه الأول بكتب النحو والصرف، كما قيلت للمؤلفات المنضوية تحت الاتجاه الثاني بكتب اللغة والمعاجم.

ولم تتّضح مظاهر الدرس المعجمي القديم وأنماط التأليف فيه دفعة واحدة، وإنما هناك مراحل عدة قطعها العمل المعجمي لدى اللغويين الأقدمين، ما يُمكن تقسيمُها – بحسب الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام – إلى ثلاث مراحل. فقال المؤلف مبينا هذه المراحل كما نقله لنا الدكتور إميل يعقوب في كتابه المعاجم اللغوية العربية (Ya'kub, 1985):

"أما المراحل التي قطعها جمع اللغة، فإنها ثلاث: في المرحلة الأولى، جمعت اللغة حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك، فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع. وفي المرحلة الثانية جمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع

واحد، وقد وضع في هذه المرحلة عدد من الكتب، التي يمكن تسميتها بكتب الموضوعات، ومنها كتاب المطر وكتاب اللبن لأبي زيد، وكتاب النخل والكرم، وكتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب أسماء الوحوش للأصمعي.....الخ. وفي المرحلة الثالثة تم وضع المعاجم على نمط خاص في الترتيب ليرجع إليها من أراد البحث عن معنى كلمة، وأول من ألف معجما - على ما بلغنا – هو الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع كتاب العين".

فقد تبيَّن من مقولته أن هناك ثلاثَ مراحل اجتازها عمل اللغويين الأقدمين في جمع مفردات اللغة. بيدَ أن التأليف في المرحلة الأولى لا يعدو أن يكون مدَوَّنا عشوائيا وعملا مكتوبا في أوراق متفرقة لدى العرب لم ليصلنا شيءٌ منها. أما المرحلة الثانية فتتمثل فيما دوَّنَه اللغويون العرب من مرويات لغوية مُسْتَسْقَاة من أفواه البدو، فرتَّبُوها وَفْقًا لأنماط موضوعية متعددة في رسائلهم اللغوية المعروفة بعدئذ بمعاجم الموضوعات. وقد ذكرت بعضُ كتب اللغة أسماء هؤلاء البدو الذين روى عنهم اللغويون الأقدمون مادتهم اللغوية، منهم (Abdul Tawwab, 1999): أبو ثروان العكلي، وأبو الجراح العقيلي، وأبو حزام العكلي، وأم الحمارس البكرية، وأبو شنبل الأعرابي، وأبو صاعد الكلابي، وأبو الغمر العقيلي، وأبو مرة الكلابي، وأبو مهدي الباهلي، وغيرهم. فمن أفواه هؤلاء البدو أُخِذَت مُفرداتُ اللغة وجُمِعَتْ في مؤلفات اللغويين المعروفين، نحو: الأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، وأبو الطيب اللغوي، والفراء، وأبو عبيد ابن سلام وغيرهم الذين برعوا في مجال العمل المعجمي في هذه المرحلة من مراحل تأليف المعاجم اللغوية. وتليها المرحلة المتقدمة والأخيرة وهي الاتجاه السائد في العمل المعجمي العربي المتمثل في جمع المعجميين المفردات اللغوية على نمط أبجديّ خاص في الترتيب يُعرف بمعاجم الألفاظ. وكان رائدُ هذه المرحلة الخليلَ بن أحمد الفراهيدي في كتابه "العين". وقد سار على نهجه خَلْقٌ كَبيرٌ من اللغويين في تأليف معاجم الألفاظ ما أسفر عن ظهور عددٍ كبيرٍ من المعاجم اللغوية من هذا النوع على اختلافها في مناهج ترتيب مواد الكتب. واختلاف المعجميين في المناهج وطرق ترتيب مواد المعاجم أدّى إلى ظهور خمس مدارس معجمية. وهي معروفة في الدرس المعجمي العربي - قديما وحديثا -. وكاد ينحصر العمل المعجمي العربي في هذه المدارس المعجمية الخمسة باعتبارها امتدادَ جهود اللغويين منذ القرن الثاني الهجري وإلى هذا العصر الراهن ما يتطلب الوقوف عليها دراسةً وتحقيقًا وتذييلًا. ولا ننتوي الخوض في تناول هذه المعاجم ومدارس العلماء في تأليفها، إذ إن بحثنا يسعى – في المقام الأول - إلى استبصار أنماط التأليف لدى اللغويين من المرحلة الثانية معرِّجا على الأسس اللسانية التي ينبني عليها تأليفهم تلك الرسائل اللغوية الصغيرة.

المبحث الثاني: أنماط الرسائل اللغوية الصغيرة وأسس تأليفها لدى اللغويين الأقدمين

المتأمل في الرسائل اللغوية الصغيرة التي ألفها اللغويّون يجد بجلاء ووضوح أن الأسس التي رُتّبت وجُمعت اللغة في ضوئها اتكأت أصلا على النظريات اللسانية المعروفة حول المفردات التي تنسجم وما تناوله اللسانيون المحدَثون في العصر الحديث وبخاصة في مجال علمَي الدلالة والمعاجم. سنستعرض هنا أهم قضايا الدرس المعجمي القديم لدى اللغويين الأقدمين في ضوء اللسانيات الحديثة من خلال تتبعنا لمؤلفاتهم في هذه المرحلة من مراحل تطور العمل المعجمي العربي. ويكون سردنا لهذه القضايا على النحو الآتي:

أولا: درجة العموم Hyponymy

اتَّخذَ بعضُ اللغويين الأقدمين نظرية درجة العموم بين المفردات أساسًا في جمع مفردات اللغة في مؤلفاتهم. وهي ما يُسمَّى بـــhyponymy في علم الدلالة. وتُعدُّ درجة العموم إحدى نظريات العلاقات الدلالية الأساسية على مستوى المفردات في البحث الدلالي الحديث (Hijazi, 1975). وهي قضية دلالية تعتني برصد درجة العموم والخصوص بين مفردات اللغة، إذ ترتبط المفردات في داخل اللغة الواحدة ارتباطا واضحا بينها من ناحية العموم والخصوص. فعلى سبيل المثال، نجد أن كلمة "الحيوانات" ذات دلالة عامة يمكن أن تنضوي تحتها كلمات خاصة أخرى نحو: أَسَد، ونَمِر، وكَلْب، وقِطّ، وثَعْلَب، وحِصَان، وغيرها من الكلمات الداخلة تحت كلمة "الحيوانات". ومثل ذلك نقول لكلمة: "الْمَرْكَبَات" التي تشمل الكلمات الأخرى، مثل: الحافلة، والدرَّاجة، والقطار، والسفينة، السيارة، الداخلة تحت عموم معنى كلمة "المركبات". وكذلك كلمات: المشي، والركض، والقفز، والهرولة، والسباحة، ما يمكن أن تنضوي تحت كلمة عامة: "الحركات". وقد سمِّيت الكلمة العامة في إطار هذه الظاهرة في الدرس الدلالي الحديث بـــــhypernym في مقابل الكلمة الخاصة التي عُرفت بمصطلح hyponym، كما يحلو لبعض اللسانيين إطلاق مصطلح general term للكلمة العامة في مقابل specific term للكلمة الخاصة. ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام المدلول واحدا. ويبدو أن تصنيف المفردات في ضوء هذه الظاهرة يُسعف المعجميين في مجال صناعة المعجم التعليمي العصري للناشئين لإثرائهم بالمزيد من المفردات اللغوية طبقا لنوعيها العام الخاص.

وكان الأصمعي في الدرس المعجمي العربيّ من أقدم اللغويين وأبرزهم في التصدِّى لجمع مفردات اللغة العربية وفقا لأساس درجة العموم بينها، إذ يُعزى إليه الكثير من الرسائل اللغوية الصغيرة، منها: كتاب الوحوش، وكتاب النبات والشجر، وكتاب الخيل وكتاب الإبل، وغيرها (Abdul Tawwab, 1999). فقد احتفى الأصمعي في كتاب "الوحوش" بذكر أسماء الكثير من الحيوانات من صنف الوحوش نحو: الحمار الوحشي، والظبي، والوعْل، والأسد، والذئب، والضَّبْع، والثعلب، والأرنب البري، وغيرها من الوحوش. ولم يقتصر الأصمعي على إيراد أسماء هذه

الحيوانات فحسب، بل عالج صفاتها التي خالفت فيها الإنسان بشكل دقيق. ومثل ذلك فعله في كتابه "النبات والشجر"، إذ أورد أسماء النبات والشجر وأنواعهما المعروفة عند العرب من المسميات الداخلة تحت عموم مدلول كلمة النبات والشجر. وثمة لغويون آخرون من معاصري الأصمعي الذين ألَّفوا الرسائل اللغوية بتبنِّيهم هذا الأساس في التأليف. ولعل أشهرهم الفراء الذي نُسب إليه بعض الرسائل التي جُمعت فيها المفرداتُ العربية، مثل؛ كتاب "الأيام والليالي والشهور". ففي هذا الكتاب أورد الفراء الأسماء القديمة والحديثة للأيام والشهور العربية على اعتبار أنها يشملها المدلول العام من كلمة "الأيام والشهور" كما تقرر شأنه عند اللسانيين المحدثين. وقد استطرد الفراء في الكتاب بالتطرق إلى ذكر أسماء الهلال والقمر والشمس، والأيام الباردة والحارة وغيرها (al-Farra', 1980).

ثانيا: التَّضَادّ أو التخَالُف Antonymy

ثمة أساس دلاليّ آخر عوَّل عليه اللغويّون الأقدمون عند تأليفهم الرسائل اللغوية ما يُعرف بظاهرة التضاد أو التخالف. والتضاد كسابقتها علاقة دلالية أساسية بين المفردات اهتمَّ بها الدلاليون المحدثون لما فيها من أهمية في تحديد دلالة كلمة ما. وذلك أن التعرف على دلالة كلمة معينة بالنظر إلى علاقتها التخالفية بكلمة أخرى يُعدُّ أيسر لاستيعاب معناها واستِشْفَاف دلالتها، كما قيل قديما إنه تُعرفُ الأشياء بأَضدادِها. ونتج عن هذه العلاقة مَا يسمى بثنائيات التخالف، إذ إن لبعض الكلمات أضدادَها في المعنى ما يساعدنا في تحديد دلالاتها.

وقد انبرى مجموعة كبيرة من اللغويين المتقدمين العرب في تأليف المؤلفات التي تحوي الكلمات المتضادة في المعنى عُرفت بكتب الأضداد، كما فعل الأصمعي، وابن السكيت، وأبو الطيب اللغوي، وقطرب، وأبو حاتم السجستاني، والأنباري، وغيرهم. والمقصود بالأضداد هنا وجود كلمة عربية تحمل معنيين مُتضادَّين أو مُتخالِفَين، مثل دلالة الجون على المعنيين؛ الأسود والأبيض، ودلالة الجلل على المعنيين؛ العظيم والهيّن، ودلالة الظَّنّ على المعنيين؛ الشك واليقين، ودلالة القُرء على المعنيين؛ الطهر والحيض، وغيرها. ويبدو أن بحث اللغويين العرب حول الأضداد يختلف قليلا مما عولج في علم الدلالة الحديث، لأنهم نهضوا بتدوين الألفاظ التي استعملتها العرب للدلالة على المعنيين المتضادين، في حين اهتمّ االدرس الدلالي الحديث بإيجاد الأضداد للألفاظ المستعملة كل على حدة، وليس بالضرورة أن تدُلّ كلمة واحدة على معنيين متضادين كما ساد في الدرس المعجمي العربي. ولكن، كلا العَمَلَين منطلقُهما واحدٌ، إذ يتأَسَّس على فكرة وجود المعنيين المتضادين لبعض الألفاظ المستعملة. وجهود اللغويين الأقدمين في قضية الأضداد قد أَودَعَت لنا كنزا عظيما لقائمة كبيرة من ثنائيات التخالف المحفوظة والموروثة في اللغة العربية. نورد هنا بعض ما ورد في كتاب الأضداد للأنباري من الألفاظ ذات المعنيين المتضادين التي استعملتها العرب فيما يأتي (al-Anbari, 1987):

- دلالة كلمة "عَسْعَسَ" على معنيين متخالفين: أَدْبَرَ وأَقْبَلَ

- دلالة كلمة "صرى" على معنيين متخالفين: الجمع والقطع

- دلالة كلمة "سامِد" على معنيين متخالفين: اللاهي والحزين

- دلالة كلمة "هاجِد" على معنيين متخالفين: النائم والساهر

- دلالة كلمة "مسجور" على معنيين متخالفين: المملوء والفارغ

- دلالة كلمة "قانع" على معنيين متخالفين: الراضي والسائل

- دلالة كلمة "مفازة" على معنيين متخالفين: المنجاة والمهلكة

- دلالة كلمة "ناهِل" على معنيين متخالفين: العطشان والريان

ثالثا: الترادُف Synonymy

الترادف ظاهرة لغوية معروفة في معظم اللغات الإنسانية. وتُعدُّ من إحدى العلاقات الدلالية على مستوى المفردات كظاهرتَي درجة العموم التضاد اللتين سبق الكلام عليهما. والمقصود بها وجود كلمتين أو أكثر بدلالة واحدة أي تَدُّلانِ على معنى واحدٍ. وهذا يعني أن لشيء واحد أكثرَ من تسمية، أو أن له مسمياتٍ متعددةً. وعُرفت هذه الظاهرة في الدرس الدلالي الحديث بقضية synonymy.

وكان الترادف مثار الجدل والنقاش بين اللغويين من مختلف اللغات الإنسانية بمن فيهم اللغويين العرب الذين جعلوه أساسا من أسس جمع مفردات اللغة في معاجمهم أو رسائلهم اللغوية. وهو من الموضوعات الشائكة وأكثرها نقاشا بينهم ما أفضى إلى تأليفهم المؤلفات حولها مُحتفِين بالمترادفات الواردة في اللغة العربية. وقد بالغ بعضهم في حشدها في مؤلفاتهم مفتخرين بذكرهم لشيء واحد أسماء قد تصلُ إلى مئة أو مئتين أو أكثر من الأسماء. فقد رُوي أن الأصمعي قد حفظ للحجر سبعين اسما، كما سُمع عن أبي عبد الله بن خالويه الهمذاني أنه جَمعَ للأسد خمسَمئة اسمٍ وللحية مئتين (Soleh, 2007). وفي صعيد آخر، ظهرت طائفة من اللغويين الذين أنكروا بوجود الترادف في كلام العرب مُنوِّهين بأن ما زُعم من المترادفات ليس إلا مجرد الصفات لشيء واحد وبمسمى واحد. ومن أشد منكريه ثعلب، وابن درستويه وأبو على الفارسي وابن فارس وغيرهم. يقول ابن فارس: "ويسمى الشي الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو: السيف، والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها، فمعناها غير معنى الأخرى....وكذلك الأفعال، نحو: مضى وذهب وانطلق، وقعد

وجلس، ورقد ونام وهجع، ففي "قعد" معنى ليس في "جلس" وكذلك القول فيما سواه"(Abdul Tawwab, 1999).

ولسنا بصدد الخوض في هذه الخلافات بين العلماء إلا أنه يروقنا نقل الرأي السائد لديهم في هذه القضية، إذ ذهب جمهرة العلماء العرب إلى أن الترادف التام غير موجود في اللغة العربية، واعتبار وجود دلالة كلمة معينة متطابقة مع كلمة أخرى بشكل تام ضرب من المبالغة، وإنما الترادف هو التقارب في الدلالة وليس تطابقا تاما. ويعزو بعضُ العلماء أسبابَ ظهور الترادف في اللغة العربية إلى عدة عوامل، أهمها (Abdul Tawwab, 1999): تعدد أسماء الشي الواحد بين اللهجات العربية المختلفة، وللشيء الواحد اسمٌ واحدٌ في الأصل ثم يتطور ويوصف بصفات مختلفة، والتطور الصوتي الذي اعترى الكلمات فتنشأ صور جديدة للكلمات ما يعرف أيضا بظاهرة القلب والإبدال، وغيرها من العوامل. وعلى كلٍّ، فإن العمل المعجمي يستفيد كثيرا من هذه الظاهرة لأن الكلمة الواحدة قد فُسرت بمترادفاتها في المعاجم العربية لإسعاف القراء في فهم دلالاتها. وقلنا آنفا إن اللغويين العرب من الرعيل الأول جَمعُوا المفردات العربية من أفواه العرب مُتخِذين الترادف أساسًا أو نَمَطًا من أنماط تأليف رسائلهم اللغوية. ومن رسائلهم في ذلك: كتاب ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي، وكتاب الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى للرماني، كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغويى، وكتاب الإبدال والقلب لابن السكيت وغيرها من الرسائل اللغوية التي جمعت المفردات العربية ومترادفاتها. ومما ما ورد في كتاب الرماني (al-Rummani, 1987):

فصل السُّرور والجذَل: السُّرور، والحبُور، والجذَل، والغِبطَة، والبَهَج، والفَرَح، والارتِيَاح، والاغتِباط، والاستِبشار.

فصل المسْكَنة والعُسْر: العَصَاصَة، والبُؤس، والمسكَنة، والعُسر، والخصَاصة، والفَاقة، والمخْمَصَة، والبَذاذة.

فصل الغِنَى والثَّرْوَة: الغِنَى، والسَّعَة، والجِدَة، والثروة، والميسرة، واليسار، والزَّيْدُ، والرَّيَاس، والجدا، والإتْرَاب، والوَفْر.

فصل الكَذِب والزُّور: الكَذِب، والْمَيْن، والزور، والتَّخَرُّص، والإِفْك، والباطل، والخَطَل، والفَنَد، والتزيُّد، واللفت، والانتحال، والبَهْت.

فصل بَعُدَ وشَطّ: بعُدَ، وشطّ، وشَطَنَ، ونَزَحَ، وأَقْصَدَ، وأَخْفَقَ، وقَذَفَ، سَحُقَ، وشَحَطَ، وعَزَبَ، ونَأَى، وتَرَاخَى.

فصل دَنَوتُ وقَرُبْتُ: دنوتُ، وقرُبتُ، واقتَرَبْتُ، وأَزْلَفْتُ، وازْدَلَفْتُ.

ويجدُر الذكرُ أنه ظهر في العصر الحديث في مجال صناعة المعاجم lexicography نوعٌ خاصٌّ في تأليف المعاجم على غرار الرسائل المذكورة أعلاه بحصر أصحابها قائمةً للكلمات ومترادفاتها في معجم موسوم باللغة الإنجليزية بـــthesaurus أي معجم المترادفات. وهو معجم فريدٌ من نوعه يضمّ الكلمات ومترادفاتها المتعددة ويهدف إلى تزويد القراء بالبدائل المختلفة لاستعمالات كلمة واحدة تنويعًا وتَزيينًا لأساليب كتابتهم شريطة تلاحمها مع السياق وردت فيه تلك الكلمات. ويبدو أن علماءنا الأقدمين قد سبقوهم في تأليف هذه المعاجم بقرون طويلة على الرغم من أن هذا النَّمَط من التأليف قد لاقى إقبالا ورواجا كبيرين فقط بعد انتشار علم المعاجم وصناعتها في الغرب.

رابعا: الاشتراك اللفظي Homonymy وتعدّد المعنى Polysemy

هذان المصطلحان معروفان في الدرس الدلالي الحديث يشيران إلى أنماط العلاقات الدلالية على مستوى المفردات كأخواتهما السابقة. وقد تناولهما بعض العلماء في موضوعين منفصلين ومستقلين، ويجمعهما البعض الآخر في موضوع واحد باعتبارهما ظاهرة واحدة ومتشابهة. ولكن، كلا المصطلحين يتفقان في دلالة كلمة واحدة على معنيَين اثنين أو أكثر. وبهذا تكون هذه الظاهرة عكس الترادف، لأن الأخير يعني وجود كلمتين اثنتين أو أكثر بدلالة واحدة خلاف المصطلحين الأولين.

ويظهر أن دلالة كلمة واحدة على معانٍ متعددة ظاهرةٌ لغوية موجودة في معظم اللغات الإنسانية كدلالة كلمة bank الإنجليزية على معنيين اثنين، أولهما: شاطئ البحر، والثاني: المؤسسة المالية. وكذلك دلالة كلمة lie على معنى الكذب ومعنى الراحة. وفي اللغة العربية تطلق كلمة "عين" على عين الإنسان، وعين الماء، وعين الإبرة، والجاسوس. ولا شك، أن هذه الدلالات المتعددة للصيغة اللغوية الواحدة تُستعمل بحسب السياقات التي تحدد الدلالة المطلوبة من هذه الصيغة رغم تعددها في المعني. وذهب بعض اللغويين إلى أن الفرق الرئيسي بين المصطلحين بحسب الدلاليين المحدَثين يكمن في كون الكلمات المنضوية في إطار الاشتراك اللفظي يكون لها مداخل مختلفة (entries) كل على حدة في ترتيب مواد المعاجم، في حين أن الكلمات في إطار تعدد المعنى توضَع تحت مدخل واحد فقط (Hijazi, 1975). بيد أن هذا الفرق لا يتضح كثيرا في العمل المعجمي العربي، لأنهم لم يكادوا يفرقون بين المصطلحين على نحو ما نهض به الدلاليون المحدثون، وإنما عدُّوهما ظاهرة واحدة في تناولهم للكلمات ذات الدلالات المختلفة. ومن أهم مؤلفات اللغويين الأقدمين التي جَمعَت المفردات العربية ذات الدلالات المتعددة ما عُنونَ بكتاب "ما اتفق لفظه واختلف معناه" بتأليف اللغويين الأوائل، نحو: المبرد، وإبراهيم اليزيدي، وأبو العميثل، وغيرهم. وأضف إلى هذا، أن جميع المعاجم اللغوية التي أُلِّفَت في مرحلة ما بعد الرسائل اللغوية الصغيرة اتُّسمَت بضمّها أكبرَ عدد من مفردات اللغة مقرونةً بشرح معانيها المتعددة في إطار ظاهرتي

الاشتراك اللفظي وتعدّد المعاني. وهذا ماثل بوضوح وجلاء في جميع المعاجم اللغوية الضخمة ما يعرف بمعاجم الألفاظ ككتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكتاب تهذيب اللغة للأزهري، ومعجم جمهرة اللغة لابن دريد، ومعجمَي الْمُجْمَل والمقاييس لابن فارس، وكتاب الصِّحَاح للجوهري، وغيرها من المعاجم التراثية القديمة. وعلى سبيل المثال، نعرض بعض ما ذكره إبراهيم اليزيدي في كتابه مبينا دلالات النَّسَمَة المتعددة، فقال (al-Yazidiy, 1987): النَّسَمَة النَّفْسُ تُشتَرى فتُعتَق، والنَّسَمَة تَغيُّر ريحِ الطَّعامِ، يقال: طعامٌ له نَسَمة ونَمَسَة أيضا. وقال في دلالات التجبر أيضا: التجبُّر، العَظَمَة والكِبرِيَاء، والتجبر الإفراق من المرض والتخلي منه، والتجبر: تجبر النَّبتِ إذا طال.

خامسا: التضَامّ Collocation

المقصود بالتضام ارتباط كلمتين أو أكثر لتأدية المعنى المعين ارتباطا تلازميا، إذ يؤدي انفصالهما إلى الإخلال بالمعنى المراد من التركيب. وذلك أن المعنى المستفاد من التركيب المتكون من هاتين الكلمتين أو أكثر لا يكون مفهوما إلا في ضوء علاقة التضامّ فيهما لأجل استقامة الجملة. والتضامّ من الظواهر اللغوية على اعتبار العلاقات الدلالية على مستوى التركيب في الدرس الدلالي الحديث. فمثلا أن استخدام كلمة "الكرسي" في تركيب "على الكرسي" في قولنا: جلس محمد على الكرسي، لا تفيد ما أفادت به دلالة "الكرسي" من قولنا :احتلَّ محمد "كرسي الأستاذية". وكذلك كلمة "رغب" في قولنا: رغبتُ في مواصلة الدراسة، والقول الثاني: رغبتُ عن مواصلة الدراسة، فالبَونُ الدلاليّ بين التركيبين شاسع لمجرد تغييرنا محلّ "في" بحرف جر آخر "عن" مسندا إلى كلمة "رغب". فالواضح أنها قضية تركيبية محضة لتأدية معنى الجملة.

وهذه الظاهرة موجودة في معظم اللغات الإنسانية بما فيها اللغة العربية لأن هناك تراكيبَ ثابتة فيها تتكون من كلمتين أو كلمات توضع لتأدية المعنى المعين أو أن الجملة بِرُمَّتِهَا توضع لإفادة المفهوم المعين لم يتمّ معناها إلا بالنظر إلى صورتها التركيبية الكاملة. ويمكن اعتبار بعض العمل اللغوي العربي لدى اللغويين الأوائل في جمعهم المفردات اللغوية داخلا في هذه الظاهرة. وذلك بتزويدهم إيانا بالكثير من التعابير الثابتة أو المفردات التي تتركب لتأدية المعنى المعين تتمثل في مؤلفاتهم في الحِكَم والأمثَال العربية. ومن أشهر كتبِ اللغة المحتوية على الحكم والأمثال العربية ما ألفها أبو عبيد ابن سلام الهروي بعنوان: "كتاب الأمثال". ويليه مجموعة من اللغويين الذين أقدموا على جمع الأمثال والحكم العربية كأبي هلال العسكري وأبو الفضل الميداني وغيرهما. ومن الأمثال العربية الواردة في كتاب الأمثال لأبي عبيد (Ibnu Salam, 1980): معاتبة الأخ خير من فقده، والظلم مرتعه وخيم، ولا يجتمع السيفان في غمدٍ، وعدوّ الرجل حمقه وصديقه عقله، وكل فتاةٍ بأبيها معجبة، إنَّ دواء الشقّ أن تحوصه، وغيرها من التعابير الثابتة والجميلة ذات المعاني المستفادة من التراكيب التي تتضامّ مفرداتها كوحدة دلالية واحدة. ومن كتب اللغة من هذا النمط

من التأليف أيضا لدى اللغويين الأقدمين ما يعرف بكتب "الإتباع أو المزاوجة". والإتباع عبارة عن تأكيد الكلمة بضمّ كلمة أخرى إليها ما شَكَّلَ تركيبا ثابتا تتفوَّه به العربُ بغرض الزينة اللفظية وتأكيد المعنى. والكلمة الثانية تسمى كلمة الإتباع التي تساوي الكلمة الأولى في الصيغة والقافية، مثل قول العرب (Abu Thoyyib, 1961): هَنيئًا مَرِيئًا، حَسَن بَسَن، شَيْطَان لَيْطَان، خَبِيث نَبِيث، عِفْريت نِفْريت، شَديد أَديدٌ، عريضٌ أَريض، حَرَّان يَرَّان، وغيرها. ولعل أبرز اللغويين المتقدمين المعروفين بتأليفهم الكتب في ظاهرة الإتباع والمزاوجة أبو الطيب اللغوي وابن فارس.

سادسا: النوادِر Archaism

العمل المعجمي في أية لغة من اللغات يقتضي حشدَ أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة ومشتقاتها مع شرح معانيها واستعمالاتها المختلفة وترتيب مداخل موادها في المعاجم ترتيبا خاصا. وهذه المفردات مثّلت جُلَّ ما استَعْمَلَتْه أبناءُ اللغة من فصيحِها وصحيحِها وشائعِها وغريبِها ونادرِها خشية اندثارها أو انقراضها على يد الزمان. والمراد بالنوادر هنا المفردات التي يندُر استعمالها ويقلّ استماعها عند بعض الناس، وغالبا ما يكون عسيرا عليهم لإدراك معانيها. وتسمَّى هذه المفردات بالنوادر كما تُعرف أيضا بظاهرة archaism في الدرس المعجمي الحديث. فالنادر من اللغة هو ما شذَّ من الكلام، وما خرج من السهل المستعمل على ألسنة الناس، سواء أكان خروجا عن المألوف في دلالة المفردات أم مخالفة لقواعد تركيب بنيتها. وهذه المفردات طبقا لهذا التعريف يكثر ورودها في العمل الأدبي من شعر ونثر لدى أدباء العرب وشعرائهم الذين عاشوا في العصر الجاهلي وحتى نهاية القرن الثالث الهجري. وقد لوحظ بوضوح توظيفُهم مفرداتِ اللغة في أعمالهم الأدبية ما عُدَّ من نوادر الكلام وشواذّه. ويبدو أن تأليف اللغويين العرب كتبَ النوادر ينبعُ أصلا عن خشيتِهم من ضياع هذه المفردات رغم شذوذها فضلا عن رغبتهم في إزالة الغموض عما يكتنف هذه المفردات من لبس وصعوبة في دلالتها وبنيتها. فقد انبروا في جمع هذه النوادر في كتبهم وتوضيح معانيها مستشهدين على استعمالاتها بما ورد في كلام العرب من شعر ونثر، كما فعل أبو زيد الأنصاري، وابن المِسْحَل، وأبو علي القالي، وغيرهم في عِداد طليعة الذين ألفوا كتب النوادر. وقد أفرد كذلك ابن دريد في معجمه الشهير "جمهرة اللغة" بابا مستقلا يعالج فيه نوادر كلام العرب رغم كون معجمه معجما لفظيا مرتبا ترتيبا أبجديا.

الخاتمة

تبدَّى في عرضنا السابق أهمُّ ظواهر لسانية حديثة اتخذها اللغويون الأقدمون أُسسا في تأليف معاجم الموضوعات ممثّلة في ظواهر: الترادف، والتخالف، ودرجة العموم، والاشتراك اللفظي، وتعدد المعنى، والتضام، والنوادر. وقد أَضْنَتْهم جهودُ البحث في هذه الظواهر مُورِثين إيَّانا تراثا وكنزا عظيمَين من المؤلفات فيها التي تُعدّ دليلا صارخا على مقدرتهم الفذّة في الوقوف على حقيقة

هذه الظواهر واستجلاء خفاياها رغم سبقهم عصر ازدهار العلوم اللسانية الحديثة بقرون طويلة. وثمة ظواهر لسانية أخرى عرَّج عليها اللغويون الأقدمون تُستَشفّ من خلال أنماط تأليفهم الرسائل اللغوية الأخرى. فارتأى البحثُ ضرورة رصدِها ورَصدِ كلِّ ما اهتدى إليه علماؤنا الأقدمون من نظريات وأسس لسانية متماسكة في بطون مؤلفاتهم للتأكيد على براعتهم وتقدمهم في الدراسات اللغوية وللحيلولة دون الاستخفاف بجهود قدمائنا. وباب البحث في ذلك مفتوح على مِصراعَيه لكل الباحثين والمنشغلين بالدرس اللغوي القديم والحديث.

REFERENCES

Abdul Tawwab, Ramadan. (1999). *Fusul fi Fiqh al-Arabiyya*. Qaherah: Maktabah al-Khanji.

Abu Thoyyib, Abdul Wahid bin Ali. (1961). *al-Itba'*. Majma' al-Lughah al-Arabiyyah: Dimasyq.

al-Anbari, Abu Bakr Muhammad bin al-Qasem. (1987). *al-Azdad*. Beirut: al-Maktabah al-Asriyyah.

Dhamin, Hatem Soleh. (2006). *Ilm Lughah*. Wazarah al-Ta'lim al-'Ali wa al-Bahs al-Ilmi, Jami'ah Baghdad, Bait Hikmah.

al-Farra', Abu Zakariyya Yahya bin Ziyad. (1980). *al-Ayyam wa al-Layali wa al-Syuhur*. Dar al-Kitab al-Misriy.

Hijazi, Mahmud Fahmi. (1975). *Madkhal ila Ilm Lughah*. al-Qaherah: Dar al-Quba' li Tibaah wa al-Nasyr wa al-Tawzi'.

Ibnu Salam, Abu Ubaid Al-Qasem. (1980). *al-Amthal*. Dar al-Makmun li al-Turath.

al-Rummani, Abu Al-Hasan Ali bin Isa. (1987). *al-Alfaz al-Mutaradifah al-Mutaqaribat al-Ma'na*. Mesir: Dar al-Wafa'.

al-Sa'ran, Mahmud. (1997). *Ilm al-Lughah: Muqaddimah li al-Qari' al-Arabiy*. Beirut: Dar al-Nahdah al-Arabiyyah.

Soleh, Subhi. (2007). *Dirasat fi Fiqh al-Lughah*. Beirut: Dar al-Ilm li al-Malayin.

Syahin, Abdul Sobur. (1993). *Fi Ilm Lughah al-'Am*. Beirut: Mu'assasah al-Risalah.

Umar, Ahmad Mukhtar. (2003). *al-Bahs al-Lugawiy 'ind al-Arab*. Alam Kutub.

Wafi, Ali Abdul Wahid. (2004). *Ilm al-Lughah*. Mesir: Nahdhah Mesir li Tiba'ah wa al-Nasyr wa al-Tawzi'.

Ya'kub, Imel. (1985). *al-Ma'ajim al-Lughawiyyah al-Arabiyyah: Badaatuha wa Tatawwuruha*. Beirut: Dar al-Ilm li al-Malayin.

al-Yazidiy, Ibrahim bin Abi Muhammad Yahya. (1987). *Ma Ittafaqa Lafzuhu wa Ikhtalafa Maknahu*.